التّقنيّات العمليّة للمنهج التّاريخي:

دراسة في كتاب "أساسيّات منهجيّة التّاريخ" للمؤرّخ الجزائري ناصر الدّين سعيدوني

Practicals technics of the historical method :

A study in the book "Fundamentals of the Methodology of History" by the Algerian historian Nasser al-Din Saidouni

الأستاذة مريامة لعناني

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

قسنطينة

الملخّص

تعدّ الدّراسات التّاريخيّة إحدى الدّراسات الأكاديميّة الجامعيّة، التي تتطلّب مناهج علميّة عدّة، وعلى رأسها المنهج التّاريخي الذي يتضمّن تقنيّات عمليّة يقوم بها الباحث في التّاريخ، ولتبيان هذه التّقنيّات جاءت هذه الدّراسة، ولضبطها وتحديد معالمها تمّ الاستعانة بإحدى الأعمال الأكاديميّة للمؤرخ سعيدوني، التي تمحور موضوعها حول أساسيّات منهجيّة التاريخ، ويمكن اعتبارها عملا مهمًّا للدّارسين في تخصّص التاريخ.

الكلمات المفتاحيّة: المنهج التّاريخي- تقنيّات عمليّة- علوم- تحليل نصّ- مقال تاريخي

Historical studies are one of the university academic studies that require several scientific approaches, most notably the historical approach, which includes practical technics performed by the researcher in history. To clarify these technics, this study came about, and to control them and determine their features, one of the academic works of the historian Saidouni was used, the subject of which revolves around the basics of historical methodology, and it can be considered an important work for students in the field of history.

Keywords: *historical method - practical technics - science - text analysis - historical article*

مقدّمة

يمثّل البحث التّاريخي الأكاديمي أحد فروع البحث في الجامعة الجزائرية، إذ يتطلّب منهجيّة تضبط عمليّة الخوض فيه، ولضرورة ذلك دُوّنت العديد من المؤلّفات التي تضمّنت منهجيّة البحث التّاريخي، حيث تُمكّن الطّالب في تخصّص التّاريخ من معرفة كيفيّة البحث، وإنجاز الأعمال الأكاديميّة بطريقة علميّة واضحة المعالم، ومن هذه المؤلّفات: "دليل الباحث في المنهجيّة وكتابة الرّسائل الجامعيّة"لعمّار بوحوش[1]، ومنهجية البحث التّاريخي" لمحمّد بن عميرة[2]، و"علم التّاريخ عند العرب والمسلمين، دراسة في المناهج والمصادر" لإسماعيل سامعي[3]، و" أساسيّات منهجيّة التّاريخ[4].

يعدّ الدّكتور ناصر الدّين سعيدوني أحد أعمدة البحث التّاريخي في الجامعة الجزائريّة، حيث تنوّعت مهامّه بين التّدريس والتّأطير والبحث والتّأليف، وكونه صاحب إنتاج تاريخي متنوّع يتضمّن إشكالات عدّة شغلت فكره واهتمامه، فقد أسهم في إثراء المكتبة التّاريخية الجزائريّة، وفي مقدّمة هذا الإنتاج ما دوّنه في موضوع تطوّر الكتابة، ككتاب" من التّراث التّاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي"[5]، و"الكتابات التّاريخيّة من الجهد الفردي إلى المنظور الحضاري"[6]، و"الفكر التّاريخي الأوروبّي من القرن السّادس عشر إلى القرن الثّامن عشر"[7]، أو ما خصّصه لمنهجية البحث التّاريخي، والمتمثّل في كتاب "أساسيّات منهجيّة التّاريخ"[8]، المذكور آنفا.

---

(1) _ المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985.
(2) _ دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر، 2014.
(3) _ المطبوعات الجامعية لكلية الآداب والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2014.
(4) _ دار القصبة للنشر، الجزائر، 2000.
(5) _ دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1999.
(6) _ البصائر الجديدة، الجزائر، 2016.
(7) _ المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، ط1، 2022.
(8) _ سعيدوني: أساسيات، المرجع السابق.

هذا الكتاب الّذي نحن بصدد تقديمه وعرض محتواه انطلاقا من موضوع المداخلة الموسوم:" التّقنيات العمليّة للمنهج الّتاريخي"، واعتمادا لإشكاليّة الموضوع المتمثّلة في أهميّة التّعرّف على هذه التّقنيّات، والتّدرّب على خطواتها، خصوصا مع المبتدئين في مجال البحث التّاريخي، كطلبتنا في تخصّص التّاريخ، وهذا ما يتوافق مع ما ذكره المؤرّخ سعيدوني في أنّ كتابه دُوّن << لأن يكون أداة عمليّة ووسيلة سهلة تُمكّن الطّلبة من التّغلّب على ما يعترضهم من صعوبات في بحوثهم التّاريخيّة >>[1]، و<< دليلا علميّا في أيدي الطّلبة يمدّ لهم يد المساعدة في دراستهم لمنهج التّاريخ ويدرّبهم على الجوانب العمليّة منه>>[2].

لقد عالج المؤرّخ موضوعات هذا الكتاب في مقدّمة وثلاثة أقسام أساسيّة مهمّة تتمحور حول مفهوم المنهجيّة في البحث التّاريخي، ومبادئها، وتقنيّاتها العمليّة، وقسم إضافي في شكل نصوص مصدريّة مستخرجة [3]، إضافة إلى ملاحق متنوّعة أثرت الدّراسة [4]، على الرّغم من أنّ الكتاب لا يتوفّر على خاتمة، ولعلّ ذلك يكمن في كونه محاضرات جامعيّة في مادة المنهجيّة.

أوّلا: متطلّبات معرفيّة حول أصناف العلوم المتعلّقة بالتّاريخ

1- مفهوم منهجيّة التّاريخ

أهمّ ما يتطلّب أن يعرفه الطّالب في التّاريخ أن يميّز منهجيّة التّاريخ كمفهوم عن باقي المنهجيّات، إذ هي الوسيلة العمليّة التي تمكّن الباحث الأكاديمي في مجال التّاريخ من اكتساب الأدوات والمهارات عند التّعامل مع الحدث التّاريخي، وذلك بتجاوز العرض

(1) _ المرجع نفسه، ص3.
(2) _ المرجع نفسه، ص4.
(3) _ على الرغم من أن هذا القسم عبارة عن قراءات مختارة قسمها إلى مجموعات تتضمن التعريف بالتاريخ وشروط البحث وشروط البحث، إلا أنه أخذ حيزا كبيرا من الكتاب، والأمر يعود إلى أهمية النصوص التي وظفها، انظر، المرجع نفسه، ص ص73-103.
(4) _ الملاحق مهمة كونها تتضمن عدة أوراق في شكل إشكاليات تتمحور حول كيفية البحث في قضايا التاريخ الوسيط والحديث والمعاصر، إضافة إلى موضوع أثر مناهج البحث عند المسلمين في المناهج الغربية، المرجع نفسه، ص ص 115-178.

الأدبيّ والسّرد لأحداث الماضي، إلى الجمع بين التّصوّر الأدبي والنّظرة الموضوعيّة والتّناول العلمي [1]، كما أنّها تحدّد خطى الباحث، وتوجّه جهوده في دراسته لأحداث الماضي، وتقوم أساسا على استثمار الوثائق والنّصوص، وتهدف إلى إنتاج المعلومات [2].

2- تصنيف العلوم المرتبطة بالتّاريخ عند سعيدوني

يربط المؤلّف بين علم التّاريخ ومختلف العلوم الأخرى، إذ لا يمكن التّوصل إلى الحقيقة التّاريخيّة دون توظيف مجموعة من العلوم، ولذلك قام بتصنيفها انطلاقا من اعتبار علاقتها الوطيدة بالتّاريخ، أو كونها شارحة له، أو مساعدة في فهمه، فتنقسم بذلك إلى:

2-1- علوم رافدة للتاريخ:

والمقصود بها مختلف المعارف التي تدخل مادّتها في صلب التّاريخ، تمثّل نتائجها أدوات أساسيّة للبحث التّاريخي، وأهمّها:

علم الآثار، الّذي يقدّم للمؤرّخ مصدرا أساسيّا يتمثّل فيما يقدّمه من نتائج حول الشّواهد الماديّة التي تصحّح أو تكمّل أو تؤكّد الشّاهد الكتابي والرّواية الشّفوية، و**علم قراءة الخطوط القديمة،** الذي يهتمّ بالسّجلاّت الأثريّة، أو المواد القابلة للفناء كالبردي، و**علم النّقوش،** الذي يعنى بحلّ رموز الخطوط القديمة، و**علم الوثائق،** الذي يقوم بوصف الوثائق من التّعريف بصاحبها إلى تحديد مصدرها وضبط تاريخها، والإشارة إلى مضمون نصّها، و**علم النّقود والمسكوكات، أي** علم التّعرّف على نوعيّة المعادن ونسبتها، و**علم الأختام والرّنوك،** وذلك بمعرفة مصدرها واستخداماتها[3].

(1) _ المرجع نفسه، ص3.
(2) _ المرجع نفسه، ص3.
(3) _ المرجع نفسه، ص ص 14-17.

إضافة إلى **علم الإنسان أو الأنثروبولوجيا،** العلم الّذي يهتمّ بثقافة الإنسان البدائي، والتّطوّر البيولوجي، و**علم السّلالات والأجناس أو الإثنوغرافيا،** وهو فرع من فروع الأنثروبولوجيا، و**علم السّير والتّراجم،** وهو علم كشف المعلومات عن الشّخصيّة، و**علم الأسماء وعلم الأنساب،** فعلم الأسماء يتعلّق بالأماكن والأشخاص، وقد أصبح علما قائما بذاته، ويعرف بـالطوبونيميا، أما علم الأنساب فقد اشتهر به العرب في الجاهلية والإسلام، وكِلا العِلمين يمكّن الباحث من دراسة التّطوّر البشري، وما يتعلّق به من حقوق الوراثة، وصلات القرابة، وملكيّة الأرض، و**علوم اللّغة،** بما فيها علم الألسن وفقه اللّغة وعلم المفردات، المتّصلة أساسا بالنّشاط الإنساني[1].

2-2- العلوم المفسّرة للتّاريخ

وهي العلوم التي تساعد الباحث على تفسير الأحداث تفسيرا يتلاءم وأسبابها البعيدة ونتائجها الملموسة، ويذكر المؤلّف أهمّها:

علم الجغرافيا، الذي يساعد الباحث في فهم الأحداث وتفسيرها، انطلاقا من المسرح الطّبيعي، ويضاف إليه **علم الخرائط** الذي يعدّ وسيلة مكمّلة لإيضاح الظّواهر التّاريخيّة، **وعلم السّكّان،** إذ يساعد في شرح العلاقات القائمة بين السّكّان والعوامل المؤثّرة في الشّؤون الإنسانيّة، **وعلم الاقتصاد،** فالحقائق الاقتصاديّة تعدّ عوامل اقتصاديّة التي لها دخل في تفسير الحروب وتطوّر العلاقات، **والفلسفة** التي تمكّن الباحث من فهم سير الأحداث من خلال التّطوّر الفكري الحضاري، **وعلم النّفس،** الذي يعدّ علما ضروريّا لتحليل نفسيّة الجماعات، انطلاقا من البحث في دوافع كلّ شخص له تأثير في الأحداث، **وعلم الاجتماع** الذي يساعد على تفسير الأحداث التي لها صلة بالنّظم والعادات، **وعلم الأديان أو اللاّهوت،** حيث يستخدم عند الرّجوع إلى المعتقدات والشّرائع التي اعتنقتها الشّعوب[2].

(1) _ المرجع نفسه، ص ص 17- 19.
(2) _ المرجع نفسه، ص ص 20- 22.

2-3- العلوم المساعدة على فهم التاريخ

هي مهارات لها صلة وثيقة بدراسة التّاريخ، وتسهّل على الباحث عمليّة النّقد والتّحليل للظّاهرة التّاريخيّة في إطارها التّاريخي الصّحيح، نذكر منها: **اللّغات،** كلّما تعدّدت اللّغات التي يعرفها الباحث كلّما كان أقدر على الرّجوع إلى المصادر التّاريخية الأولى، وإدراك الحقائق من مضانّها مباشرة، و**المعجميّات** القائمة على تاريخ استخدام المفردات اللّغويّة، وتغيّر معانيها في مختلف العصور، **والفنون الجميلة،** من تصوير ونحت وعمارة وموسيقى وهندسة، حيث تساعد الباحث في التّعرّف على المستوى الحضاري للمجتمعات، **وعلم التّوقيت،** الذي يساعد في دراسة النّظم المختلفة المستخدمة لضبط الزّمن وتعيين تاريخ الأحداث، مثلا التّقويم الميلادي والتّقويم الهجري[1].

ثانيا: شروط التّعامل مع الحادثة التّاريخية ومادّتها

يرى سعيدوني أنّ التّعامل مع طبيعة الحادثة التّاريخيّة، يتطلّب أوّلا أن يدرك الباحث أنّ الحقيقة التّاريخيّة التي يطمح إلى الوصول إليها هي حقيقة نسبيّة لا مطلقة، كما يتطلّب منه أن يتعامل مع الخبر بموضوعيّة، إذ عليه العمل على بعث الماضي في صورته الحقيقيّة[2].

1- من هو الباحث في التّاريخ في نظر سعيدوني؟

وانطلاقا من هذا يرى المؤرّخ أنّ الباحث لا يكون باحثا في التّاريخ إلاّ إذا توفّرت فيه شروط، وأهمّها: الاستعداد النّفسيّ لإنجاز العمل والتّحلي بالصّبر والمثابرة، والاتّصاف بالنّزاهة والأمانة وعدم التّحيّز، وهو بمثابة القاضي، والقدرة على إنجاز البحث من خلال المصادر الأساسيّة، والتّفرّغ للبحث وتكريس الجهد فيما يتّصل به، كما يجب أن يكون موهوب الإحساس والخيال حتّى يدرك آراء الغير ونوازعهم وميولهم،

(1) _ المرجع نفسه، ص ص22- 25.
(2) _ المرجع نفسه، ص ص 29-30.

غير أنّ الشّرط الأساسي يكمن في الرّوح النّقدية[1]، ودون هذا العنصر تنعدم النّظرة التّحليليّة، ولا تكتمل إلا بامتلاك منهج البحث والالتزام بخطواته.

2- خطوات منهج البحث التّاريخي:

يقوم الباحث بمجموعة من الخطوات الضروريّة للبحث عن الحقيقة المراد التّوصل إليها لمعالجة طرح معيّن أو دفاع عن رأي في إطار أكاديمي، وتتمثّل هذه الخطوات في اختيار الموضوع، ووضع خطّة أوليّة للعمل من مقدّمة ومتن وخاتمة [2].

3- التّعرّف على المصادر، أو كما يصطلح عليها بالأصول

يتمّ هذا الإجراء بالرّجوع أوّلا إلى المراجع العامّة والدّوريّات والدّراسات الحديثة، وبصفة خاصّة الموسوعات وسجلاّت الفهارس، إضافة إلى معاجم الأعلام والجغرافيا.

كما يصنف سعيدوني المصادر حسب طبيعة المادّة التي تتضمّنها أو طريقة تسجيلها للأحداث إلى:

- **الآثار المكتوبة**، المشتهرة باسم الأصول، كونها مصادر أساسيّة، ومنها ما لم يكتب بغرض التّأريخ، وهي المادة الأرشيفيّة.
- **الكتابات التّاريخيّة**، تتطلّب الإخضاع للنّقد والتّمحيص.
- **الرّواية الشّفويّة** كنوع مصدري ثالث [3].

4- طريقة التّعامل مع المادّة التّاريخيّة

يتمّ ذلك من خلال:

---

(1) _ المرجع نفسه، ص ص30-31.
(2) _ الحديث في هذا الموضوع طويل غير أنني اختصرته مراعاة لأن عناصره ستقدم موضحة في مداخلات أخرى للأساتذة. المرجع نفسه، ص ص 32-36.
(3) _ المرجع نفسه، ص ص38-39.

1-4- **نقد المادّة التّاريخيّة،** ويتمثّل في النّقد الظّاهري والنّقد الباطني [1].

2-4-الصّياغة التّاريخيّة، وهي عمليّة التّدوين بغرض إعادة تصوّر الماضي من واقع الحقائق المستخلصة عن طريق عمليّة الجمع والنّقد والتّحليل، وتتضمّن:

- **التّحليل التّاريخي،** الذي يقوم على: الموضوعية والعقلانية والإقناع، والحذر من التّأثّر بالأسطورة والخرافة، والابتعاد عن التّعصّب في الرّأي.
- **التّركيب التّاريخي،** ويتمّ بجمع الحقائق وتصنيفها، وإيجاد العلاقة بين تلك الحقائق.
- **الإنشاء التّاريخي،** وذلك بعرض الأفكار، إذ يشترط في الباحث إجادة اللّغة، وامتلاك الأسلوب، وحسن التّبليغ [2].

ثالثا: الإجراءات التّقنية لإنجاز الأعمال التّاريخيّة الأكاديميّة:

هي التّقنيات العمليّة التي يتطلّب الأخذ بها عند الصّياغة، وقد قسّمها سعيدوني إلى أقسام، وأهمّها:

- **شكل البحث،** وهو الجانب الشّكلي للبحث الذي يتضمّن عدد الصّفحات والتّرقيم والتّصميم، وذلك وفقا للتّقاليد الأكاديميّة.
- **إنجاز البطاقات،** بالكتابة على وجه واحد، وترتيبها حسب الموضوعات، وتجنّب تسجيل المعلومات في الكراريس، فالبطاقات توفّر سهولة المعالجة والتّركيز في العمل.
- **إثبات المصادر والمراجع،** تسجّل في البداية في بطاقات مخصّصة لها، وتثبّت في الإحالات الهامشيّة والقائمة المصدريّة.
- **الحواشي والهوامش، فالحواشي** هي ذات قيمة علميّة تؤكّد القيمة الأكاديميّة للأطروحة، وتتضمّن: تعليقات مقتضبة أو شروح مختصرة، أو تصحيح لبعض

(1) _ تم اختصار هذا العنصر لتكرار مضمونه مع عنصر طريقة دراسة نص. المرجع نفسه، ص46.
(2) _ المرجع نفسه، ص ص 46-48.

الأغلاط، أو إشارة إلى مراجع أخرى تعالج الفكرة نفسها، أمّا **الهوامش**، فتستعمل لذكر المصادر المعتمدة، مع الالتزام بطريقة موحّدة.

- **الاقتباس والتّنصيص**، فهو إثبات فقرات في صلب الموضوع بنصّها الحرفي قصد تعزيز الحقائق، مع وضع عبارات التّنصيص.
- **البيبليوغرافيا**، يتمّ إعدادها أثناء البحث، وترتّب عند الانتهاء، وهي عبارة عن قائمة مصدريّة ومرجعيّة اعتمدت في البحث.
- **الفهارس والملاحق**ـ فالفهارس تشتمل على جداول الأعلام والأماكن وغيرها، أما الملاحق فهي وثائق أو نصوص نادرة تتعلّق بموضوع البحث.
- **والمصطلحات**، وتتمثّل في علامات التّرقيم، ومختصرات الأسماء والعبارات الأساسيّة [1].

رابعا: خطوات هامّة لشرح نصّ تاريخي

أهم ما قدّمه سعيدوني في هذا الجزء، هو ما يحتاج إليه الطّالب من **منهجيّة لتحليل النّصوص التّاريخيّة**، التي يتّبع فيها ثلاث خطوات رئيسيّة، وهي:

- **عرض النّص:** ويتعلّق الأمر بشرح النّصّ وفهم محتواه باستخراج طبيعته وموضوعه ومحتواه، وكذا مصدره.
- **نقد النّص:** العمل على تحليل الأخبار الواردة في النّص للتّأكّد من صحّة الحوادث، وذلك من خلال التّدقيق في الحقائق، والتّعرّف على المحاسن كعِلميّة المؤرّخ ومنطقه ونزاهته وحياده، والتّعرّف على المساوئ كغياب التّحليل والتّناقض وانعدام الدّقّة.

(1) _ على الرغم من إطناب المؤرخ في هذا الجزء إلا أنني اختصرته، وهذا للتركيز على مالم يتطرق في المداخلات الأخرى. المرجع نفسه، ص ص 50-57.

- **تقييم النّصّ:** وذلك بالحكم على صاحب النّصّ ومضمونه، مع استخلاص الفوائد [1].

خامسا: طريقة قيّمة لكتابة مقال تاريخي

وهو العمل الذي يقوم به الباحث لمناقشة أو معالجة فكرة أو موضوع تاريخي، ويقدّمه في قالب منهجي، وهو بالنّسبة لسعيدوني يخضع لمنهجيّة واضحة، فمن حيث:

- **التّصوّر،** يكون بطرح التّساؤل، وتحديد الفكرة الأساسيّة، وضبط الأفكار الثّانويّة، مع استحضار الأفكار المكمّلة للموضوع.
- **الشّكل،** فيراعى في المقال اللّغة والأسلوب، والفقرات وعرض الأفكار وربطها، واختيار طريقة العرض.
- **المضمون،** فيتم بتصميم المعلومات المعتمدة في المقال.
- **المعلومات،** وذلك باستخدام المعلومات المصدريّة والمرجعية المتعلّقة بالموضوع والخاتمة [2].

خاتمة

وفي الختام، نستخلص أنّ كتاب" أساسيّات منهجيّة التّاريخ" يمكن أن يكون من أهمّ الدّراسات التي تهمّ الباحثين في التّاريخ وخصوصا المبتدئين منهم، إذ يمكّن الطّالب في تخصّص التّاريخ من خوض المسار بكل وضوح، لما يقدّمه من خطوات وتقنيّات عمليّة للمنهج التّاريخي، حيث إنّ المتحكّم في أدواته، يمكنه التّوصل إلى الحقائق بطريقة صحيحة ومنطقيّة.

(1) _ المرجع نفسه، ص ص 53-65.
(2) _ المرجع نفسه، ص ص 66-69

قائمة المصادر والمراجع

1- إسماعيل سامعي: علم التّاريخ عند العرب والمسلمين، دراسة في المناهج والمصادر، المطبوعات الجامعية لكلية الآداب والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2014.

2- عمار بوحوش: دليل الباحث في المنهجيّة وكتابة الرّسائل الجامعية، المؤسّسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985.

3- محمد بن عميرة: منهجية البحث التاريخي، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر، 2014.

4- ناصر الدين سعيدوني: أساسيات منهجية التاريخ، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2000.

5- ناصر الدين سعيدوني: من التّراث التّاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1999

6- ناصر الدين سعيدوني: الكتابات التّاريخية من الجهد الفردي إلى المنظور الحضاري، البصائر

a. الجديدة، الجزائر، 2016

7- ناصر الدين سعيدوني: الفكر التّاريخي الأوروبي من القرن السّادس عشر إلى القرن الثّامن عشر، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، ط1، 2022.